أُصولٌ ستَّةٌ

للافتقار إلى اللّه في الشِّدَّة

«كلمة في وباء كورونا»

لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله يفعلُ ما يشاء ويَحكم ما يُريد، وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له شهادة التَّوحيد، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبده ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تامَّةً باقِيةً إلى يوم المَزيد.

أَمَّا بعد:

أيُّها المؤمنون؛ إِنَّ فَقْر العبد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضرورةٌ لازمةٌ له؛ قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر].

وتتأَكَّد هذه الضَّرورة في حال الشِّدَّة والحاجة عند عامَّة النَّاس؛ فإِنَّ النَّاس إِذا مُسُّوا بِضَرَّاءَ وشِدَّةٍ اضطرُّوا إلى رَبِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اضطرارًا عظيمًا.

ويَتَجلَّى هذا الاضطرار فِي الشَّريعة في سِتَّة أصولٍ عظيمةٍ:

۞ **الأصل الأوَّل**: الإيمان بقَدَر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر]؛ فينبغي للعبد أَنْ يؤمن بقَدَر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يَتَلَقَّاه بالصَّبر.

قال النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

فينبغي للعبد أن يَعمُرَ قلبَه بالإيمان بقَدَرِ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأَنَّ الأمرَ أَمْرُه والحُكمَ حُكمُه، وما شاء الله كان، وما لم يشأِ الله لم يكنْ.

❁ **والأصل الثَّاني**: كَمَال التَّوكُّل على الله عَزَّوَجَلَّ، وتفويضُ الأمر إليه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطَّلاق:٣]؛ أي فهو كافيه.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التَّوبة].

فينبغي للعبد أَنْ يَتَوَكَّل على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأَنْ يُفَوِّض أموره إليه، وأَنْ لا يَتَجارى مع الخيالات الفاسدة؛ فلا يكونَ إنسانًا ضعيفًا تأخذُ به الخيالات كُلَّ مَأخذٍ؛ فقد قال النَّبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»(٢).

❁ **والأصل الثَّالث**: الرُّجوع إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والتَّوبة إليه.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الرُّوم]؛ أي أنَّه ظَهَر الفساد فِي أحوال الخَلْق بَرًّا وبَحْرًا، في مآكلِهم، وأشربَتِهم، وصِحَّتِهم، وقُوَّتِهم، وكُلِّ أَمْرِهم.

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٩٩٩) من حديثِ صُهيبٍ الرُّوميِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلمٌ (٢٦٦٤) من حديثِ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومنشأُ ذلك: ما كَسَبَتْه أيدي النَّاس؛ فيُذيقُهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بعض العقوبةِ لعلَّهم يرجعون.

قال ابنُ عبَّاسٍ فيما رواه ابن المنذرِ: «لعلَّهم يَتُوبون»[١].

وقال أيضًا في روايةٍ عنه عنده: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم:٤١]؛ أي «عن المعاصي»[٢].

فينبغي أن يجتهدَ المرءُ في الرُّجوعِ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والتَّوبةِ إليه، ويعلمَ أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فَسَحَ له في أَجَله، وأَخْرَجَ له مِن مظاهر قُوَّته؛ ليتذكَّر العبدُ ويرجعَ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام]؛ أي جاءهم عذابُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بغتةً؛ فإذا هُم آيِسُون من كُلِّ خيرٍ.

فإذا أَظْهَر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للخَلْقِ مِن مظاهِرِ قُوَّته ما ينبغي به أنْ يَرجعوا، فَعلَيْهم أَنْ يُبادِروا بالتَّوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وإلَّا فإنَّهم إذا أعرَضُوا عن ذلك، وقَسَت قلوبُهم، وزَيَّن لهم الشَّيطان ما كانوا يعملون؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ سيفتح عليهم أبوابًا من السَّعةِ، حَتَّى إذا تَمَكَّنوا فيها وفَرِحوا بِها، أَخَذَهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أَخْذًا شديدًا لا يَنْجُون منه.

(١) «الدُّرُّ المنثور في التَّفسير بالمأثور» (٦/ ٤٩٧).

(٢) المصدر السَّابق.

۞ **والأصل الرَّابع**: ينبغي للعبد أَنْ يأخذ بالأسباب.

فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:١٩٥].

وقال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»(١).

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**»(٢).

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ**» أي بالوباء «**بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**».

فينبغي للعبد أَنْ يَتَّخِذَ من الأسباب ما يَتَوَقَّى به ما يخاف على نفسه من عِلَّةٍ أو مرضٍ.

۞ **والأصل الخامس**: ينبغي أن يجتهد الإنسان في أَخْذ مصادر المعلومات الَّتي تُهِمُّه من الجهات المُخْتَصَّةِ، وأَنْ يحذرَ من الإشاعات.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾[النِّساء:٨٣].

فينبغي للإنسان أَنْ يَرُدَّ الأمر إلى أهلِه، وأَنْ يَتَّخِذَ من المعلومات الَّتي يستضيء بها قَبَسًا مِن الجهات المُخْتَصَّة بذلك دون غيرِها، وأَلَّا يكون بُوقًا يَنْفَخ بالشَّائعات وينشُرها بين النَّاس، مِمَّا يعود عليهم بالضَّررِ في أديانِهم ودُنياهم.

۞ **والأصل السَّادس**: ينبغي أَنْ يجتهد العبد في دعاء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ فإِنَّ «**الدُّعَاءَ**

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٦١١٥) من حديثِ صُهيبٍ الرُّوميِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمدُ (٩٨٥٣) من حديثِ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

هُوَ العِبَادَةُ» كما قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١].

وهذا الدُّعاء نوعان:

* **أحدهما: دعاءٌ عامٌّ**؛ بأَنْ يدعو الإنسان بِرَفْعِ البلاء، أو دَفْعِه، أو غير ذلك من أنواع الدُّعاء الَّتي يدعو بِها؛ كأَنْ يقول: (اللَّهمَّ احْمِنا من هذا البلاء، اللَّهمَّ ادفع عَنَّا هذا الوباء)؛ فإِنَّ هذا مشروعٌ.

وقد تَرْجم البخاريُّ في «صحيحه»: (باب الدُّعاء بِرَفْع الوباء والوَجَع).

وبَوَّب النَّسائيُّ في «السُّنن الكُبرى»: (باب الدُّعاء بِنَقْل الوباء).

وذَكَرا فيه حديث أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا بِنَقْل حُمَّى المدينة إلى الجُحْفة[٢].

فيسأَلُ الإنسان رَبَّه عَزَّوَجَلَّ أَنْ يدفعَ هذا الوباء والبلاء عن المسلمين عامَّةً، وعن بلادنا هذه خاصَّةً.

* **وأَمَّا النَّوع الثَّاني**: فهو نَوْعٌ خاصٌّ يتعلَّق بالاستعاذة والحِماية من هذه العِلل والأمراض؛ **وهو ثلاثة أنواعٍ:**

- **أَوَّلُها**: قراءة سورة الفَلق والنَّاس؛ فإِنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا**»[٣]؛ أي أَنَّ الإنسانَ إذا خاف شيئًا فينبغي أَنْ يقرأ هاتين السُّورتين، داعيًا

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٩٦٩) (٣٢٤٧) (٣٣٧٢) وابن ماجهْ (٣٨٢٨) من حديثِ النُّعمانِ بن بشيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٦٣٧٢) والنَّسائيُّ في «الكبرىٰ» (٧٤٧٧) من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٣) والنَّسائيُّ (٥٤٣٠) (٥٤٣١) - واللَّفظ لأبي داود - من حديثِ عقبةَ بن عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حِفْظه مِمَّا يَتخَوَّف منه، ومن جملة ذلك: هذا الوباء.

- **والدُّعاء الثَّاني**: ما رواه أبو داود وغيره، وصَحَّحه ابن حِبَّان: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالجُنُونِ، وَالجُذَامِ، وَسَيِّئِ الأَسْقَامِ**»(١)؛ فكان النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يدعو بِهذا ويستعيذ.

ومِن جملة ما يندرج في قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**وَسَيِّئِ الأَسْقَامِ**»: الأوبئة الَّتي يَتخَوَّف منها النَّاس؛ فيدعو الإنسانُ بِهذا.

- **وثالثها**: ذِكْرٌ يكون في الصَّباح والمساء، وهو ما رواه أبو داودَ وغيره: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: (بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ**»(٢).

وفي رواية أبي داودَ: «**لَمْ تُصِبْهُ فُجْأَةُ بَلَاءٍ**».

فمِن الأدعية الَّتي تحفظ الإنسان مِن الأوبئة: هذا الدُّعاء الَّذي كان يقوله النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الصَّباح والمساء ثلاث مَرَّاتٍ.

فهذه أصولٌ سِتَّةٌ، ينبغي أَنْ يحرِص الإنسان على امتثالها والعمل بِها؛ فإِنَّها من أعظم مشاهدِ فَقْرِنا إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في ظلال هذه الأحوال الَّتي ألقى هذا الوباء بِها على النَّاس مخاوفَ ومَهالكَ، والعاصمُ مِن ذلك كُلِّه: هو الفَزَع إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ

(١) أخرجه أبو داود (١٥٥٤) من حديثِ أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨) والتِّرمذيُّ (٣٣٨٨) وابن ماجهْ (٣٨٦٩) من حديثِ عثمانَ بن عفَّانَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

والافتقارُ إليه بأمورٍ؛ مِن أعظمها: هذه الأصول السِّتَّة.

أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أَنْ يدفعَ هذا الوباءَ عن المسلمين عامَّةً، وعن بلدنا هذا خاصَّةً، وأَنْ يحفظنا بالإسلام قائمين، وأنْ يحفظنا بالإسلام قاعدين، وأن يحفظنا بالإسلام نائمين، وأَنْ يحفظ علينا صِحَّةَ أبدانِنا، وسِعةَ أرزاقِنا، وتمامَ إيمانِنا، وكمالَ إيقانِنا، وأَنْ يتَوَلَّانا بولايتِه، ويرعانا برعايتِه.

والحمد لله ربِّ العالمين.

أُلقيت هذه الكلمة
بعد صلاة العصر يوم الثُّلاثاء الخامس عشر من رجبٍ
سَنَةَ إحدى وأربعين بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ
فِي جامع مُصعبِ بن عُميرٍ بحي الجزيرة بِمَدِينَةِ الرِّياض